﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

توبيخ المشركين بالعَود إلى الكفر بعد الأمن

لمّا أعرض المشركون عن إخلاص الدّعاء لله بعد إذ أنجاهم، فتسبّب عن ذلك أن فعلوا فعل الآمن؛ أنكر عليهم إعراضَهم عن الشّكر وعَوْدَهُم إلى الكفر لكونه من أجهل الجهل[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾: الأَمن: طمأنينةُ النَّفس وزَوالُ الخَوفِ[2]، وله معنيان مُتدانيان؛ أَحَدُهُما: الأَمانَةُ الَّتي هي ضِدُّ الخيانَة، ومعناها سُكونُ القَلْبِ؛ والآخَرُ: التَّصْديقُ[3]، يُقال: رَجلٌ أَمَنَةٌ، للَّذي يُصدِّق بكُلِّ ما يَسمع ولا يُكذِّب بشَيءٍ[4]، ورَجُلٌ أَمَنَةٌ أَيْضًا: إذا كانَ يَطمئن إلى كُلِّ أحدٍ، يُقالُ: آمَنَ به قومٌ وكذَّب بِهِ قومٌ، فأَمّا (آمَنْتُه) المُتَعَدّي فَهو ضدُّ أَخَفْتُه[5]، والمقصودُ بالأَمنِ في الآية: النَّجاةُ مِنَ الخَوفِ، وهو أَيضًا السَّلامَةُ مِنْ كُلِّ ما يُخافُ[6].

2) ﴿يَخْسِفَ﴾: أصلُ (خسف) يَدُلُّ على غُموضٍ وغُؤورٍ، وإليهِ يَرجِعُ فُروعُ البابِ[7]، فالخَسْفُ والخَسَفُ: زِلْزالٌ شَديدٌ تَنْشَقُّ بِهِ الأَرْضُ فَتَحْدُثُ بانْشِقاقِها هوَّةٌ عَظيمَةٌ تَسْقُطُ فيها الدّيارُ والنّاسُ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 473.
(2) الرّاغب، المُفردات، والزَّبيدي، تاج العروس: (أمن)، والمناوي، التّوقيف على مهمات التّعاريف، ص: 63، والزَّبيديّ، تاج العروس: (أمن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (أمن).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (أمن).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 255.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خسف).

ثُمَّ تَنْغَلِقُ الأَرْضُ عَلَى ما دَخَلَ فيها[1]، قالَ تَعالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81]، ومنه الخَسيفُ: البئر المحفورة في حجارة يخرج منها ماء كثير[2]، والمقصود بالخَسْفِ في الآية: انقلابُ ظاهرِ الأَرضِ في باطنها من الزِّلزالِ[3].

3) ﴿جَانِبَ﴾: أصلُ الجَنْبِ: الجارِحَةُ، ثمَّ استُعيرَ للنّاحيةِ الَّتي تليها[4]، والجانِبُ: شِقُّ الإِنْسانِ وغَيْرِهِ، تَقولُ: قعَدْتُ إِلى جَنْبِ فُلانٍ وإِلَى جانبه، بِمَعْنًى، والجَمعُ: جُنوبٌ وجَوانِبُ وجَنائبُ، والجَنْبُ مِنْ كُلِّ شيءٍ: ناحيته[5]، ويأتي الجَنْبُ بمعنى: القُرْبِ[6]، والمقصودُ بالجانبِ في الآية: هو الشِّقُّ الَّذي يُنْجيهم إِلَيْهِ، والمُراد به: الشّاطِئُ الَّذي يَرْسونَ عليهِ[7].

3) ﴿يُرْسِلَ﴾: (رسل) أَصْلٌ واحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ على الانْبِعاثِ والامتِدادِ، فالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ، وناقَةٌ رَسْلَةٌ: لا تُكَلِّفُكَ سياقًا، وشَعْرٌ رَسْلٌ، إِذا كانَ مُسْتَرْسِلًا[8]، والإِرْسالُ يُقالُ في الإنسان، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتّسخير كإرسال الرّيح والمطر، وقد يكون ببعث مَنْ له اختيار، نحو إِرْسالِ الرّسل، وقد يكون ذلك بالتَّخلية وترك المنع، نحو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: 83][9]، والمقصودُ بالإرسالِ في الآية: بَعْثٌ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ[10].

4) ﴿حَاصِبًا﴾: (حصب) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو جِنْسٌ مِنْ أَجْزاءِ الأَرْضِ، والحَصْباءُ جِنْسٌ من الحَصَى[11]، والحَصْبُ: رَميُكَ بالحَصْباء؛ أَيْ: صِغار الحَصَى أو كِبارها[12]، وتحاصب القَوْم: تقاذفوا بالحصى[13]، ويُقال للرّيح الَّتي تَحْمِل التُّرابَ والحَصى: حاصِبٌ، وللسَّحابِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 165.
(2) السَّمين، عُمدَة الحُفَّاظ: (خسف).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 162.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (جنب).
(5) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جنب).
(6) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (جنب).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 162.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سِيدَه، المُحْكَم، وابن منظور، لسان العرب: (رسل).
(9) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (رسل).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 96.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصب).
(12) الخليل، العين: (حصب).
(13) ابن دريد، جمهرة اللغة: (حصب).

يَرْمي بالبَرَد والثَّلْج: حاصِبٌ؛ لِأَنَّهُ يَرْمي بهما رَميًا[1].والمقصود بالحاصب في الآية: مطرُ حجارةٍ، وبَرَدٌ يُشْبِهُ الحِجارَةَ[2].

5) ﴿تَجِدُواْ﴾ أصلُ (وجد) يَدُلُّ على أَصْلٍ واحِدٍ، وهو الشَّيء يُلْفيهِ، يُقال: وجَد مَطْلوبَهُ، والشَّيْءُ يَجِدُه وُجودًا، ووجَدْتُ الضّالَّةَ وِجْدانًا[3]، وأَوجده اللّه مطلوبَه؛ أَيْ: أَظفرَه بِهِ[4]، والواجِدُ: الَّذي يَجد ما يقْضي بِهِ دَيْنَه[5]، وفي أَسماء اللّه ﷻ: الواجدُ، وهو الغَنيُّ الَّذي لا يَفْتَقِرُ، والإيجادُ: الإنشاءُ من غير سَبقِ مِثالٍ[6]، والمُرادُ بالإيجاد في الآية: الإلفاءُ والمصادَفَة.

6) ﴿وَكِيلًا﴾ أَصْلُ (وكل) يَدُلُّ على اعْتِمادِ غَيْرِكَ في أَمرِكَ، من ذلك الوُكَلَةُ، والوكَلُ: الرَّجُلُ الضَّعيفُ[7]، والتَّوكُّلُ يُقال على وجهيْن، يُقالُ: تَوكَّلْتُ لفلان بمعنى: تولَّيتُ لَه، ويُقالُ: وكَّلْتُهُ فَتَوكَّلَ لي، وتَوكَّلْتُ عليه بمعنى: اعتمدته[8]، وواكَلَ فُلانٌ، إذا ضَيَّعَ أَمرَهُ مُتَّكِلًا على غَيْرِه، والوكيل: مَنْ يوكَلُ إليه الأَمرُ، والمواكَلَةُ: إذا اتَّكَلْتَ عليه واتَّكَلَ عليكَ[9]، والمقصودُ بالوكيلِ في الآيةِ: الموكَّلُ إليهِ القيامُ بِمُهِمِّ موكِّلِه، والمُدافِعُ عن حَقِّ موكِّلِه[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه سبحانه: (أفأمِنْتُم أن يجعَلَ اللّهُ الأرضَ تَنهارُ بكم في جانِبِ البَرِّ إنْ خَرَجتُم من البَحرِ سالِمينَ؟ فهو قادِرٌ على إهلاكِكم

قُدرة الله تعالى لا يُعجزها شيءٌ في البحر ولا في البَرِّ ولا في غيرهما

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (حصب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 152.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وجد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (وجد).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (وجد).
(6) ابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (وجد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وكل).
(8) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ: (وكل).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وكل).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 162.

سواءٌ في البَحرِ أو في البَرِّ، أوْ أمِنْتُم أن يُرسِلَ اللّهُ عليكم حِجارةً من السَّماءِ فيُمطِرَكم بها فيُهلِكَكم، ثمَّ لا تَجِدوا لكم ناصِرًا يَدفَعُ عنكم العَذابَ، ويُنقِذُكم منه)[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الاستفهام في ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾:

الإنكار على الكفّار وتوبيخهم بنسيان النِّعَم

تضمّن قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أسلوبَ استفهام بالهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾، والغرض البلاغيُّ منه الإنكار على الكفّار وتوبيخهم على إعراضهم عن الشُّكر وعَوْدِهِم إلى الكفر[2]؛ لأنّ هذا من أجهل الجهل، فالقادر على إهلاكهم في جانب البحر بالغرق، قادرٌ على إهلاكهم في جانب البرّ بالخسف، فالجوانب والجهات كلها في قدرته سواء، ليس جانب البحر وحده مختصًّا بذلك، بل إن كان الغرق في جانب البحر، ففي جانب البرّ ما هو مثله وهو الخسف؛ فاللّه تعالى يقدر في البرّ على نحو ما يقدر عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من اللّه في جميع الجوانب[3].

معنى الفاء في ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ ودلالتها:

الشعور بالأمن عقب الشعور بخوف الغرق

في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ عطفٌ باستعمال الفاء الدّالة على التعقيب، والتقدير: (أَنَجَوْتُم من البحر فَأَمِنْتُم بعد خروجكم منه)[4]؟! كما أفادتِ الفاءُ التّفريعَ على جملة ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾، وفُرِّع الاستفهامُ التوبيخيُّ عن إعراضهم عن الشّكر وعَوْدِهِم إلى الكفر[5].

وذهب الزمخشريّ إلى أنّ الفاء للعطف على محذوف تقديره:

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 668 - 670، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 463.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 160.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 2/ 679.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 473.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 161.

(أنجوتم فأمنتم)، وأنكر عليه أبو حيّان هذه الدَّعوى بأنّ الفاء والواو في مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف غير معروف، وانتصر لمذهب الجماعة أنّ لا محذوف هناك، وأنّ الفاء والواو للعطف على ما قبلها، وأنَّه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدرَ الكلام، فقُدِّمت والنيَّة التّأخير، وأنَّ التَّقدير: (فأمنتم)[1].

دلالة الماضي في ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾:

اطمئنان المشركين واستقرار أمنِهم في البرّ

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ استعمالُ الفعل الماضي ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾، للدلالة على حكاية حالهم الماضية المُتحقّقة فِعلًا؛ فالمشركون بعد وصولهم للبرِّ زالَ فزعُهم واطمأنّوا بعدم الهلاك وثابَتْ إليهم السّكينة.

فائدة الخطاب في: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾:

توبيخ المشركين بالاغترار بالنّجاة من الغرق

في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ توبيخٌ للمشركين على نسيانهم نعمةَ الله بإنجائهم من الغرق وإيصالهم إلى جانب البرّ، فأخبرهم الله بهذه الآية أنّ الجوانب والجهات كلّها في قدرته سواء؛ فالبرّ والبحر عنده سيّان يقدر في البَرِّ على نحوِ ما يقدر عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستوي خوفُه من الله في جميع الجوانب[2].

دلالة المضارع ﴿يَخْسِفَ﴾:

تجدد إنزال العقوبات بالكفّار والمشركين

عُبِّرَ بالفعل ﴿يَخْسِفَ﴾ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؛ لأنّ المُضارِع يُفيدُ افْتِراض تجدّد الفعل واستمراره، فالله قادر على الخسف بالمشركين في كل مرّة يظنّون فيها أنّهم نجوا من بأسه في البحر، كما يُفيد المضارع

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 82.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 2/ 679.

الاستقبال، وفيه تهديدٌ للمشركين بأن لا يأمنوا عاقبة كفرهم، وأنّ العذاب سيأتيهم لا محالة وإنْ تأخّر لحكمةٍ يعلمها سبحانه.

بلاغة الالتفات في قراءة ﴿نَّخْسِفَ﴾:

عظمة الرُّبوبيَّة تستوجب التمجيدَ، وتستدعي الخوفَ من الوعيد

في قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ﴾ قراءتان مشهورتان: فقرأ ابن كثير وأبو عَمرو بالنّون ﴿نَّخْسِفَ﴾، ﴿نُرْسِلَ﴾ وقرأ الباقون بالياء ﴿يَخْسِفَ﴾، ﴿يُرْسِلَ﴾[1].

وحُجّة مَنْ قرأ بالنّون: أنّه جعله من إخبار الله تعالى عن ذاته بضمير المُعظِّم نفسه سبحانه، وأنّ حُجّة مَن قرأ بالياء: أنّه جعله من إخبار النبيّ ﷺ عن ربّه ﷻ[2].

ويَحتمل أيضًا على قراءة الياء أن يكون من أسلوب الالتفات من خطاب الله تعالى لهم في قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ إلى الغائب بقوله ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ أيْ: (ربّكم)، وذلك لنكتة استحضار عظمة الرُّبوبيَّة المستوجبة للتَّوحيد والتَّمجيد والدّاعية للخوف من الوعيد بالعذاب الشديد.

دلالة التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يَخْسِفَ﴾:

الوعد بالخسف مستمرُّ الزمن مقترنٌ بتجدُّد الإنكار

عبّر بلفظ المصدر المؤوَّل ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ دون الصَّريح؛ ليجتمع الإخبار عن الحدث مع الدّلالة على الزَّمان[3]، بمعنى أنّ المُراد تحديد زمان القول حاضرًا، ومستقبلًا؛ لأنَّ المصدرَ المُؤوَّلَ ذو دلالةٍ تجدُّديةٍ الآنَ، وفي المستقبلِ بدلالةِ ﴿أَن﴾ الّتي تخلّصُ الفعلَ للاستقبالِ فهو دالٌّ على الحدثِ والزّمنِ، ومعنى الاستمرار هذا هو المقصود؛ إذ إنه يَشمل الزمن عمومًا؛ ماضيًا، وحاضرًا، ومستقبلًا.

المُـراد الخسفُ نفسه لا كيفيّته

ويُجاء بلفظ الفعل المُشتَقّ منه مع (أن) أيضًا، للدّلالة على مجرّد

(1) ابن الجَزَريّ، النشر: 2/ 308.
(2) ابن خَالويْه، الحُجّة، ص: 292.
(3) السُّهيليّ، نتائج الفكر في النّحو، ص: 97.

معنى الحدث دون احتمالٍ زائدٍ عليه، ففيها - أي: (أن) - تحصينٌ للمعنى من الإشكال، وتخليصٌ من شوائب الاحتمال، وعوارضه المتَصَوَّرة في الأذهان[1]؛ بمعنى أنّ المُرادَ الخسفُ نفسه لا كيفيّته وحجمه ومدى هوله، بوصفه مَظِنَّةً للعِبْرة والاتّعاظ، ولا خير فيمَنْ لا تعظه التجاربُ والأمثال.

مَعنى حرف الجرّ في ﴿بِكُمْ﴾:

تهديد المشركين بنزول العذاب بهم حيثما كانوا

جاء في قوله تعالى: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ استعمالُ حرف الجرّ الباء من ﴿بِكُمْ﴾ دالًّا على تعدية ﴿يَخْسِفَ﴾ بمعنى المصاحبة، وفيه تهديدٌ لهم بأنّ العذاب سيطالهم في أيِّ مكانٍ كانوا فيه بحرًا أو برًّا، فكلُّ مَنْ في السّماوات والأرض في قبضته سبحانه.

دلالة التقديم والتأخير في ﴿بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾:

اختصاص المشركين بعذاب الخسف دون غيرهم

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿بِكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؛ لنُكتةٍ بلاغية وهي الاختصاص الذي يجعله أئمةُ علم المعاني لازمًا للتّقديم[2]؛ والمعنى: اختصاص المشركين بنزول عذاب الخسف بهم دون غيرهم من العباد، وفي هذا تهديد لهم.

بلاغة الكناية في الآية:

الشاطئ أوّل البرّ بعد البحر

تضمّن قوله تعالى: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ صورة بيانية في قوله: ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾، وهي كنايةٌ عن موصوفٍ وهو الشاطئ؛ إذْ جعل البرَّ جانبًا لإرادة الشَّقّ الذي يُنجيهم إليه، وهو الشاطئ الذي يرسون عليه، إشارةً إلى إمكان حصول الخوف لهم بمجرد حلولهم بالبرّ بحيث يخسف بهم ذلك الشاطئ، أي إنَّ البرّ والبحر في قدرة الله تعالى سيّان[3].

(1) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص: 97.
(2) السّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 233.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 162.

مَعنى ﴿أَوۡ﴾ ودلالتها:

تفصيل إهلاك المشركين بين الخسف أو الحاصب

استُعمل حرف العطف ﴿أَوۡ﴾ الدّالُّ على التّقسيم في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾، وهو تقسيمٌ يُفيد تفصيلَ إهلاكهم في البرّ سواء بالخسف، أو بالحاصب وهو مطر الحجارة، كما تُؤذِن بأنّ أحد الأمريْن غير مُعيَّن الحصول؛ لأنّه مستقبَلٌ ولكن لا يخلو حالهم عن أحدهما[1].

دلالة الفعل المضارع ﴿يُرۡسِلَ﴾:

تجدد إنزال العقوبات بالكفّار والمشركين

عبّرَ بالفعل المضارع ﴿يُرۡسِلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾؛ لأنّ المُضارِع يُفيدُ افْتِراض تجدّد الفعل واستمراره، فالله قادر على إهلاك المشركين بالحاصب في كل مرّة يظنّون فيها أنّهم نجوا من بأسه في البحر، كما يفيد المضارعُ الاستقبالَ، وفيه تهديدٌ للمشركين بأن لا يأمنوا عاقبة كفرهم، وأنّ العذاب سيأتيهم لا محالة وإن تأخّر لحِكمةٍ يعلمها سبحانه.

دلالة التّقديم والتّأخير في ﴿عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾:

اختصاص المشركين بعذاب الحاصب دون غيرهم

تقدّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ لنكتةٍ بلاغيَّةٍ وهي الاختصاص، بمعنى اختصاص المشركين بنزول مطر الحجارة عليهم دون غيرهم من العباد، وفي هذا تحذيرٌ لهم ووعيدٌ من هذا المصير المُخيف.

معنى حرف الجَرّ ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾:

إرسال الحاصب من السماء على رؤوس المشركين

في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ آثر النَّظْمُ الكريم استعمالَ حرف الجرّ (على) الدّالّ على الاستعلاء، وهو استعلاء حقيقيّ؛ لأنّ الحاصب - وهو مطر الحجارة - ينزل عليهم من السّماء، فاستعمل لفظ (على) المختص بالعلوّ[2]، وفيه تخويفٌ شديدٌ وتصويرٌ مهيبٌ للعذاب.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 152.
(2) الراغب، التفسير: 2/ 289.

دلالة التنكير في ﴿حَاصِبًا﴾:

دلالة الإبهام على التّعظيم والتّفخيم

نُكِّرَ لفظ ﴿حَاصِبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ لنُكتةٍ بلاغيةٍ؛ إذْ يدلُّ التّنكير على الإبهام، والإبهام له علاقة مباشرة بالتّعظيم والتّفخيم، فإنّ مَن أراد أن يُعظّم شيئًا أبهمه بحيث لا يُكْتَنَهُ وصفُه وتذهب النّفس فيه كلَّ مذهب، فيهدِّد الله المشركين بإرسال حاصبٍ عظيمٍ من حجارة على رؤوسهم.

بلاغة الاستعارة في الآية:

رميُ السحابِ بالبَرَد الضخم كرمي الإنسان بالحجارة

تضمّن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ صورةً بيانيَّةً، وهي الاستعارة في قوله: ﴿حَاصِبًا﴾، والحاصِبُ الرّامي بالحصباء، والتّقدير: (يرسل عليكم السّحاب كإنسانٍ رامٍ بالحجارة)، فجَعَلَ رَميَ السّحابِ بالبَرَد الضخم كرمي الإنسان بالحجارة، وهي استعارة غرضُها توضيحُ المعنى وتقويتُه.

معنى حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾:

دقّة السّياق القرآنيّ في اختيار حروف المعاني

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ استُعمِل حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ الدّالّ على التّرتيب والتّراخي[1]، فالمشركون بعد نزول العذاب بهم من خَسْفٍ أو حاصبٍ، لا يجدون لأنفسهم مَن يجادل اللّهَ عنهم أو يُطالبُه بما أَلحق بهم من الخسف أو الإهلاك بالحاصب.

دلالة المضارع ﴿تَجِدُواْ﴾:

عدم وجود مَن يحفظ المشركين من عذاب الله في الحال والاستقبال

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ بالفعل المضارع ﴿تَجِدُواْ﴾ الدّالّ على الحال والاستقبال؛ فالمشركون لا يجدون ولن يجدوا حافظًا ونصيرًا يمنعُهم من بأس الله بزًّا أو بحرًا[2].

فائدة حرف الجرّ ﴿لَكُمْ﴾:

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ استعمالُ

(1) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 237.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 290.

عـــدم وجـــودِ نـصـيرٍ يـجـادل لأجل المشركين

حرفِ الجرِّ اللّام مِنْ ﴿لَكُمْ﴾، وهيَ محمولةٌ على التّعليلِ؛ أيْ: لن يوجد لأجْلِكُم أيُّ نصيرٍ يمنعكم من بأس الله، ولن يجدَ المشركون لأنفسهم مَن يجادلُ اللّهَ عنهم أو يطالبه بما ألحقَ بهم من الخسف أو الإهلاك بالحاصب.

دلالة تنكيرِ ﴿وَكِيلًا﴾ وإفرادِهِ:

دلالــة التّنكير على التّقليل

يتجلّى الغرض البلاغي من تنكيرِ لفظ ﴿وَكِيلًا﴾ وإفرادِه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾: هو التقليلُ، فالمشركون لن يجدوا ولو نصيرًا واحدًا يمنعهم من بأس الله، أو يَحولُ بينه وبين تعذيبهم.

فائدة التّقديم والتّأخير في ﴿لَكُمْ وَكِيلًا﴾:

اخـــتـــصـــاص المشركين بعدم وجود وكيل لهم

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ لنكتةٍ بلاغيّةٍ وهي الاختصاص، بمعنى اختصاص المشركين بعدمِ وجودِ الحافظ والنّصير دون المؤمنين، وقريبٌ من معناه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد ﷺ: 11].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأمن والطمأنينة:

الأمــن حقيقةٌ والاطـمـئـنـان مجاز

يتجلّى الفرق بين الأمن والاطمئنان في الاختلاف الدَّلالي بينهما: فالأمنُ لا يُطلق إلّا في سياق الخوف من شيء، والاطمئنان لا يُشترط فيه ذلك، كما أنّ الأمن حقيقةٌ والاطمئنان مجاز، فالاطمئنان حقيقتُه في سكون الأجسام، وإطلاقُه على استقرار النَّفْس وانتفاء القلق مجازٌ بتشبيه القلق بالاضطراب والحركة، وشاع ذلك المجاز حتى صار مساويًا للحقيقة، يُقال: اطمأنّ بالُه واطمأنّ قلبه، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: 103]؛ فالمُراد

بـ(الاطمئنان) الاستقرار في مكان الإقامة بعد السفر؛ أي: القفول من الغزو؛ لأنَّ في الرجوع إلى الأوطان سكونًا من قلاقل السفر واضطراب البدن، فإطلاقُ الاطمئنانِ عليه يُشبه أن يكون حقيقةً[1].

الخَسْفُ والقَلْبُ:

القلبُ ردُّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ مطلَقًا، والخسفُ قلبٌ خاصٌّ

بين الخسف والقلب عمومٌ وخصوص؛ فالقلبُ عامٌّ، والخسف خاصٌّ؛ وذلك لأنّ القلب ردُّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ مطلَقًا[2]، أمّا الخسف فهو قلبٌ خاصٌّ، وحقيقته زِلزالٌ شديدٌ تنشقُّ به الأرض فتَحدثُ بانشقاقها هوَّةٌ عظيمة تسقط فيها الدّيار والنّاس، ثم تنغلق الأرض على ما دخل فيها، مثلما أصاب أهلَ بابل، ومكانُهم يُسمَّى خَسْفَ بابل، ومثلما أصاب قومَ لوط؛ إذ جعل الله عاليَها سافِلَها[3]، وذِكْرُ خصوصِ العذاب - وإن لم يُفصَّل في هَيْئَتِه وكيفيّته - أَدْعى للخوف والرهبة فالاتّعاظ؛ ولذا اختيرَ الخسفُ دون القلب.

الجانِب والشّاطئ:

الجانبُ عامٌّ في ناحية الشّيء، والشاطئُ خاصٌّ بجانب البرِّ في البحر ونحوه

بين الجانب والشّاطئ عمومٌ وخصوصٌ: فالجانبُ عامٌّ في ناحية الشّيء، والشّاطئُ خاصٌّ بجانب البرِّ في البحر ونحوه، فذُكِر في الآية العامّ (وهو الجانب) تنبيهًا على عظمة قدرة الله ﷻ، وأنّ عذابَه يَطالُهم في أيّ مكان يكونون فيه من البرِّ أو البحرِ، فلا عاصمَ من أمر الله إلّا مَن رَحِم، وعلى العاقل أن يستوي خوفُه من العظيم سبحانه في أيّ مكان برًّا أو بحرًا.

الحاصِب والرّيح:

بين الرّيح والحاصب عمومٌ وخصوصٌ، وذلك أنّ الرّيح أنواع كثيرة، منها الطيّب النافع، ومنها الضّارّ المُدمِّر، ومن المُدمِّر ريحٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 164.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلب).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 165.

للعذاب تُسمّى: الحاصبَ؛ وهي ريح قويّة تحمل من شدّتها التّراب والحصباء، فتَحصِب بها الناس، وتُغطي بها العمران، وقد تشتدُّ شدّة تقتلع الحجارة فترمي بها النّاس.

وقد عُذِّبت بهما أُمَّتانِ من الأمم الغابرة، كانتا من أشدّ الأمم عذابًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: 40]، وهاتان الأمّتان هما: عاد وقوم لوط، كما في آيات كثيرة.

(وجَدَ) و(لقي):

تخصيص الوجود بالبحث وعموم اللُّقيّ

يتجلّى الاختلاف بين اللفظيْن في اشتقاق كلِّ فعلٍ من الفعليْن: (وجَدَ) و(لقيَ)، كما يظهر الفرق بينهما في المعنى؛ فالفعل (وجد) لا يستعمل إلّا لمَنْ كان يبحث عن الشيء؛ فيُقال: وجده بعد بحثٍ، وأمّا الفعل (لقيَ) فلا يدلّ على بحث أو سابق تخطيط وميعاد؛ بل هو توافي اثنيْن متقابليْن[1]، ومن هنا ناسب الفعل ﴿تَجِدُواْ﴾ سياق الآية من حيث بحثُ المشركين عن وكيلٍ يمنعهم من بأس الله، أو يحولُ بينهم وبين تعذيبهم ولن يجدوا.

الوكيل والنَّصير:

تغايُر المبنى دليل على تغايُر المعنى

يشترك لفظا (الوكيل) و(النَصير) في أنّ كليهما من أسماء الله الحسنى، وقد ورد وصف الله ﷻ بهما في القرآن الكريم: فورد وصفُه سبحانه بلفظ نصير في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النّساء: 45]، وورد وصفُه تعالى بلفظ وكيل في القرآن أربع عشرة مرةً.

والفرق بينهما من جهة الدلّالة: أنّ (النَّصيرَ) هو الموثوق منه بأن لا يُسْلِمَ وليَّه ولا يَخذلَه[2]، وأمّا الوكيل فهو الموكَلُ إليه القيامُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسس).
(2) الحَلِيمي، المنهاج: 1/ 205.

بمهمِّ موكِّله، والمُدافعُ عن حق موكِّله[1] فيتلخَّص في الوكيل ثلاثة معان: الكفيل، والكافي، والحفيظ؛ لذا فهو أنسبُ لسياق الآية بوصف المُشرك الباحث عن النّصير يتشبّث بمَن يمتلك القدرة على النُّصرة كفالةً وكفايةً وحفظًا؛ لكون المُتّصف بها أدعى للحماية، وأقدَرَ، ولكن هيهات!

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 162.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»